الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- توقف الحديث بنا عند مبتدأ الهجرة إلى مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكنا ذكرنا في الحلقة الماضية، أسماء الذين بايعوا النبي -عليه الصلاة والسلام- من الأوس والخزرج، وأن النبي -عليه الصلاة والسلام- جعل منهم اثني عشر نقيبًا، وقد كانت اشتملت هذه البيعة، التي سبقت الهجرة، على ثلاثةٍ وسبعين رجلًا، وامرأتيْن.
- وتوقف الحديث بنا عند قوله -رحمه الله تعالى-: "فلما تمت هذه البيعة، استأذنوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أن يميلوا على أهل العقبة". هؤلاء العدد، يعني الذي هم ثلاثةٌ وسبعين، ظنوا أن عندهم من القدرة، والمُكنة، أن يقضوا على من حولهم، على الأقل من المشاغبين، أو من أعداء الدعوة، ورؤوس قريشٍ، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يأذن لهم، وفي هذا درسٌ بليغٌ للشباب وللإخوة والأخوات، الذين يستعجلون بعض الأفعال، في غير وقتها وأوانها، فتجد يقول: أنا قويٌّ، أنا قادرٌ، أنا ممكن ترى بحركةٍ معينةٍ وكذا، أقتل هذا العدو، قد يكون في بلدٍ آخر، يعني لاحظوا هؤلاء الصحب الكرام كانوا في مكة، وهم من المدينة، وهم بالنسبة للكفار قلةٌ قليلةٌ، وهو في الليل يستطيع أن يقتل رجلًا، لا أحد يراه، كذا، وهؤلاء السبعون، أو الخمسة وسبعون يستطيعون أن يقتلوا عددًا من هؤلاء ثم يهربون، ثم ماذا؟ هل هذا يخدم الدعوة؟
الجواب: لا، ولذلك ليست العبرة بأنك تقتل كافرًا، أو تقتل عدوًّا، العبرة هل هذا فيه مصلحة للدعوة أم لا؟ قد تقول: من الذي يضبط هذه المصلحة؟ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وأهل الذكر هنا كل من له علمٌ بمجريات الأمور، والأحداث، سواءٌ كان عالمًا شرعيًّا، أو خبيرًا سياسيًّا، أو خبيرًا اجتماعيًّا، أو خبيرًا كما يُقال بالعلاقات الدولية وغير ذلك، كل هؤلاء هم أهلٌ بمجموعهم أن يُستشاروا في هذا العمل، يصلح أو لا يصلح؛ لأنه ليس الغرض أن نشفي ما في صدورنا فقط، شفاء ما في الصدر مطلبٌ ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14]، لكن ننظر في المصلحة الكبرى للدعوة، هل هذا يحقق المقصود أو لا، ولهذا نهاهم النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكان بإمكانه أن يقول: بلى، اقتلوهم، يستحقون، عادونا، وفعلوا، وفعلوا، لكن لم يأذن الله -جلَّ وعلَا- بذلك.
- الآن انقطع الوحي، ليس عندنا وحيٌ، إذن بم نرجع؟ نرجع إلى من ورثوا النبي -صلى الله عليه وسلم- في علمه، علماء الشريعة، ومن يحتاجون إليه في التخصصات ذات الأثر في الفتوى، الخبراء السياسيين، الخبراء الاقتصاديين، الخبراء الاجتماعيين، الخبراء، الخبراء، إلى آخره، فيستفاد منهم في تقدير هذه الأمور.

- قال -رحمه الله-: "بل أذن النبي -صلى الله عليه وسلم- للمسلمين بعدها من أهل مكة في الهجرة إلى المدينة، فبادر الناس إلى ذلك، فكان "أول من خرج إلى المدينة من أهل مكة، أبو سلمة بن عبد الأسد". وهو زوج أم سلمة -رضي الله عنها- الأول.
- الآن الأولية ذات هاجسٍ عند كثيرٍ من الشباب والفتيات، أم لا؟ وده يكون أول من أول أول أول، انظر التاريخ يسجِّل الأوليات، لكن إياك أن تُسجَّل من الأولين في الفجور، أو في الشر، أو في صرف الناس عن الخير، أو أول واحدٍ فعل كذا من الأمور التي هي من تفاهات الأمور، أنت تكتب تاريخك بأفعالك، فانتبه! لا تكتب فيه إلا ما يسرك إذا كبرتَ أن تلقاه، وأقول أو يسرك إذا لقيتَ الله -جلَّ وعلَا- أن يُكتب في ميزان حسناتك.
- يقول: "خرج هو وامرأته أم سلمة، فاحتبستْ دونه، ومُنعتْ سنةً من اللحاق به".
- إذن هنا نوعٌ من التعب الجديد على أبي سلمة، تصور واحدًا يهاجر، ومعه زوجته، ثم يُحال بينه وبينها، هذا أذًى آخر نفسيٌّ شديدٌ، لكن إذا كان في ذات الله فهو حلوٌ، وأيضًا هنا نلحظ أنه قال: "ومُنعت سنةً من اللحاق به، وحيل بينها وبين ولدها أيضًا" لاحظ العذاب الثاني النفسي.
- "ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة، وشيَّعها عثمان بن طلحة، ويُقال: إن أبا سلمة هاجر قبل العقبة الأخيرة، فالله أعلم".
- هنا وقفةٌ مع أثر المرأة، في إعانة زوجها في الدعوة إلى الله -جلَّ وعلَا-، والصبر على الأذى، بعض الأخوات ممن يُكرمها الله -جلَّ وعلَا- بزوجٍ له اهتمامٌ بالدعوة، قد تضجر من سفره، وذهابه، وانشغاله بالدعوة، فنقول لها: دونك هذه الأمثلة، زوجك لم يُحل بينك وبينه، بل يخرج براحته، يسافر، ويضرب في أرض الله -جلَّ وعلَا-، فكوني عونًا له.
- قال -رحمه الله-: "ثم خرج الناس أرسالًا يتبع بعضهم بعضًا". يعني تتابعوا، ثم انتقل بعد ذلك إلى بدء قصة هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، لاحظوا الآن عندنا قسمان من المهاجرين، أو قسمان من الذين سبقوا النبي -صلى الله عليه وسلم- من المدينة، القسم الأول: أهل المدينة الذين بايعوه من الأنصار، هؤلاء رجعوا إلى بلدهم الأصلية، القسم الثاني: طلائع المهاجرين من أصحابه المكيين، من مختلف بطون قريش، هؤلاء كلهم سبقوه، إلا قلةٌ قليلةٌ من المستضعفين الذين لا يستطيعون كما قال الله -جلَّ وعلَا- هجرةً ولا يهتدون سبيلًا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 98] فبقوا.
- فقال -رحمه الله- هنا: "ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر، وعليٌّ -رضي الله تعالى عنهما-".
- لاحظ، أقام بأمره لهما، وخلا، أي بقي من اعتقله المشركون كُرهًا، وقد أعد أبو بكر -رضي الله عنه- جهازه، وجهاز رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منتظرًا حتى يأذن الله -جلَّ وعلَا- لرسوله في الخروج.
- لاحظوا المؤلف طوى شيئًا من قصة الهجرة هنا، دعونا نذكرها -إن شاء الله- بعد قليل، ننتقل إلى القصة هذه، ثم أعود إلى ما أريد أن أعلق عليه.
- يقول: فلما كانت ليلة همَّ المشركون بالفتك برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كيف هموا؟ اجتمعوا وقرروا أن يقتلوا النبي -عليه الصلاة والسلام-، كما يُعبَّر بالتعبير المعاصر "التصفية الجسدية". عجزوا عن مقارعة

الحجة بالحجة، ومقابلة البرهان بالبرهان، ورأوا أن الإسلام يفشو، وهكذا عادة الطغاة، إذا عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة، لجأوا إلى القتل، كما قال فرعون لموسى قال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]، يعني جالس يصلح؟ لا، لكن هكذا حجج هؤلاء الطغاة، تجدهم يعجزون عن مقابلة الحجة بالحجة، فيلجأون إلى البطش، هؤلاء كذلك، سلكوا نفس الطريقة، كما قال الله -جلَّ وعلَا-: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: 53].

- فهمُّوا بالفتك بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وأرصدوا على الباب مجموعةً من الشباب، ومجموعةً من الرجال، الاتفاق ما هو؟ أنه إذا خرج من الباب يقتلوه بضربةٍ واحدةٍ، بعدة أسيافٍ، ليتفرق دمه في القبائل، فلا يمكن مطالبة قبيلةً دون قبيلةٍ، لماذا؟ لأنهم يقولون: ما يُدرى من قتله، تكاثرت عليه السيوف، فلا يُدرى من الذي قتله.
- قال -رحمه الله-: "فلما خرج عليهم، لم يره منهم أحدٌ ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]"، **يقول: وقد جاء في حديثٍ، كأنه يشير إلى عدم قوته، يقول: " أنه ذرَّ على رأس كل واحدٍ منهم ترابًا، ثم خلص إلى بيت أبي بكر -رضي الله عنه-. إلى آخره.**
- إذن هنا من الفوائد في هذه القصة: هو أن النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذه القصة، المؤلف طوى شيئًا منها، وهو أنه جعل في مكانه عليًّا -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، وهو فعل الأسباب، ما هو فعل الأسباب الذي وقع هنا؟ النبي -صلى الله عليه وسلم- أنام في مكانه عليًّا -رضي الله عنه-، من أجل إيهام المشركين أن هناك إنسانًا مازال في الفراش، فلما أذن الله له بالخروج، خرج فأعمى الله أبصارهم، فلما تجاوزهم، زالت عنهم الغشاوة، وكانوا ينظرون من فتحةٍ في الباب، فقالوا: مازال في مكانه.
- وتقول الرواية، والله أعلم بصحتها: "إن بعضهم لمس شعره، فوجد ترابًا، قالوا: لقد خرج من بين أيديكم، فقالوا: انظروا مازال في فراشه". على كل حالٍ، هذا من صنع الله -جلَّ وعلَا- له، ومن الأشياء التي فعلها النبي -عليه الصلاة والسلام- قبل الهجرة، وهذا انتبهوا له، أنه ردَّ الأمانات لأهلها، أو أمر من يرد الأمانات لأهلها.
- يكون بيني وبين ناسٍ خصومةٌ، لا يعني أن أعتدي على أموالهم، ولا أن أبغي عليها، ولا أن أسيء إلى دعوتي بأخذ أموالهم بغير حقٍّ، لا، بل هذا نوعٌ من أنواع الدعوة، رسالةٌ من الرسائل التي يرسلها الداعية إلى الله -جلَّ وعلَا-، لمن حوله، أنني أصدق مع الله -جلَّ وعلَا-، وأصدق مع الناس حتى ولو كانوا خصومي، ولا أخسر أخلاقي، حتى ولو كنتُ في حربٍ، ولو كنتُ في خصومةٍ، فأنا عندي مبادئ وأسسٌ لا أتنازل عنها، حتى ولو كنتُ مع خصمي، ولهذا العرب ترى يوجد منهم ما يوجد لكن هناك معايير معينةٌ، لاحظوا هؤلاء، مع أنهم يهمون بالقتل، لكن عندهم خطٌّ أحمر للمروءة، منعتهم من أن يقتحموا الباب، ويقتلوه في فراشه، لاحظتم، فهناك خطوطٌ حمراء، لا يتجاوزونها، مع أن المسألة فيه تخطيط التصفية الجسدية، لكن هناك خطوطٌ حمراء.
- **يقول -رحمه الله-: "ثم خَلُصَ إلى بيت أبي بكر -رضي الله عنه-، فخرجا من خوْخةٍ في دار أبي بكر ليلًا".**
- **يقول: "خرجا من خوْخةٍ"**. ما الخوْخة؟ هذه فتحةٌ طريقها صغيرٌ بين بيتين، أشبه ما تكون بالطريق الصغير نحن نسميه في اللهجة الدارجة "سُويق"، ليس سوقًا ولا طريقًا، هو طريقٌ صغيرٌ يكون بين بيتين، تسمى الخوْخة، وهذه الخوْخة هي التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكرها، وليست هي، لكن لما كان في

المدينة، وسكن أبو بكر في المدينة، كان هناك عدة خوْخاتٍ، يعني طرقٍ صغيرةٍ، جواد صغيرةٍ تأتي، أو تُفضي إلى المسجد النبوي الشريف، فقال -عليه الصلاة والسلام-، يعني الآن أوضح للإخوة، يكونوا معي الآن، لتوضيح فكرة الخوخة، الآن هذا المسجد النبوي الشريف، نفترض أن الكتاب الآن هذا المسجد النبوي، هناك عدة خوخاتٍ تدخل إلى المسجد النبوي من جواد صغيرةٍ، فتحاتٍ صغيرةٍ، البيوت على جنبات المسجد، وكل بيتٍ له طريقٌ صغيرٌ إلى المسجد، ففي آخر حياته -عليه الصلاة والسلام- قال: **«لا تبقين خوخةً»** يعني طريقًا صغيرًا، **«إلا سُدَّت، إلا خوخة أبي بكر -رضي الله عنه-»** ، والآن تجدها في المسجد النبوي، في الجهة الغربية، يعني أنت إذا صليتَ جهة الكعبة، الجهة الجنوب، يعني لو فرضنا الآن أن المسجد النبوي بهذا الشكل، الجهة هكذا، ستجد خوخة أبي بكر من هذه الجهة، على يمينك، وأنت متجهٌ إلى القبلة، في البناية العثمانية، وتجد هناك موجودٌ خوخة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، موجودةٌ، مازال الاسم موجودًا، لكن البناء طبعًا انتهى وزال.

- هنا خوخةٌ، وهناك خوخةٌ، لتعلم بركة هذا الرجل، وأثره في الأمة، وأثره في الدعوة إلى الله -رضي الله عنه وأرضاه-.
- **يقول: "فخرجا من خوخةٍ في دار أبي بكر ليلًا، وقد استأجرا عبد الله بن أريقط، وكان هاديًا خِرِّيْتًا".** ما معنى الخِرِّيت؟ أي: العارف بالطرق والجواد.
- **يقول: "ماهرًا بالدلالة إلى أرض المدينة، وأمناه على ذلك مع أنه كان على دين قومه، وسلما إليه راحلتهما، وواعداه غار ثورٍ بعد ثلاثٍ".**
- إذن هنا من فوائد هذه القصة، أمورٌ: أولًا: السرية التامة في الأمور المهمة، التي تتعلق بالدعوة، النبي -عليه الصلاة والسلام- لما جاء إلى أبي بكر في ضحوة النهار، وجد عنده بعض أبنائه، وقال: **«أخرج من عندك يا أبا بكر»**، قال: إنما هم أهلك يا رسول الله، ما عندي أحدٌ، والذين عندي لاحظ رباهم أبو بكر على كتم الأسرار، فقال: **«إنه قد أُذن لي بالهجرة»** ، فقال: الصحبة يا رسول الله، فقال: **«نعم»**، فقال: عندي راحلتان، فقال: **«بالثمن»**، لماذا؟ لأن الهجرة عبادةٌ، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يريد أن يكون لأحدٍ عليه منة في العبادة، ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر فضل أبي بكر في آخر حياته وقال: **«إن أمنَّ الناس عليه في صحبتي: أبو بكر، ولو كنت متخذًا أحدًا من أهل الأرض خليلًا، لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلًا، ولكن صاحبكم»** يعني نفسه **«خليل الرحمن»**، -صلى الله عليه وسلم-.
- فأعطيا الراحلتين عبد الله بن أريقط، وفي هذا فائدةٌ، وهو أنه: يجوز استعمال المشرك إذا كان مأمونًا، والقضية الآن خطيرةٌ الآن، قضية تحولٍ وانتقالٍ، وفي هذا أيضًا من الفوائد: توزيع المهام، لأنه سيأتي معنا بعد قليلٍ: أن أبا بكر أعطى عامر بن فهيرة الماشية والغنم يرعاها، ليستفيدوا منها في طريقهم، واستفاد أيضًا من عبد الله بن أريقط، هذه من فوائد هذه القطعة.
- **يقول -رحمه الله-: "وواعداه غار ثورٍ بعد ثلاثٍ".** غار ثورٍ لاحظوا الآن سأريكم الخريطة، هنا الآن مكة، مكة في الحبة الصفراء التي عليها المؤشر، جبل ثورٍ، هذا الذي تحت الدائرة الصفراء، طريق الهجرة، لاحظوا، هو ذلك اللون الأخضر، انتبهوا الآن لنعرف كيف خرج النبي -صلى الله عليه وسلم-، هذا الطريق الأخضر، الذي باللون الأخضر، هو طريقه -عليه الصلاة والسلام-، بينما الطريق الذي باللون البرتقالي هذا هو طريق القوافل

المعتاد، لاحظ كيف التخطيط لعدم السير في الطريق الأصلي، وهذا من فعل الأسباب، وتعمية العيون، وتعمية الأعداء، أو إبعاد الأعداء عن استهدافه -صلوات الله وسلامه عليه-، وهذا يدل ماذا؟ يعني ما أحد يتهور، ويقول: أنا تقيٌّ، وأنا صالحٌ، وأنا وأنا، ما أحد أتقى من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومع ذلك فعل الأسباب، اختفى في الغار، وخالف الطريق، واتخذ دليلًا وَخِرِّيتًا، واتخذ صاحبًا، وأعدَّ الرواحل، وفي هذا كله ردٌّ على أولئك الذين يزعمون أنهم متوكلون، وإنما هم متواكلون، كما نقدهم وذمَّهم الإمام أحمد وغيره، ممن يسيرون في المسافات الطويلة، إلى الحج، أو في الصحاري وكذا، ويقولون: نتوكل على الله، الله سيرزقنا، مثل ما يرزق الطير، هذا ليس بصحيحٍ، هذا مفهومٌ خاطئٌ للتوكل، هم في الحقيقة يسيرون، ونفوسهم متطلعةٌ إلى بشرٍ يعطيهم، يُظهر نفسه بمظهر الزهد والمسكنة، وشيءٍ من هذا القبيل، من أجل أن يلتفت له أحدٌ ويعطيه، هذا غلطٌ، هذا ليس توكلًا، وسيد المتوكلين -صلى الله عليه وسلم- فعل هذه الأسباب، وفي غزوة أحدٍ، ظاهر بين درعين، لبس لِبستين كلها من حديدٍ، من أجل اتقاء السهام والرماح وغير ذلك، فالتوكل الحق على الله -جلَّ وعلَا- هو اعتماد القلب على الله، مع فعل الأسباب المشروعة، ولا يتعلق قلبك بها، إنما تفعلها وتتوكل على الله؛ لأنه هو الذي يُمضي الأسباب ويمنعها، -سبحانه وتعالى-.

- **ثم قال -رحمه الله-: "فلما حصلا في الغار"، يعني بقيا في الغار، "عمَّى الله على قريشٍ خبرهما"،** فلم يدروا أين ذهبا".
- لماذا لم يدروا؟ لاحظوا الخريطة، التي رأيناها قبل قليلٍ، المتوقع أنه إذا كان يخرج من مكة، أين يذهب؟ مع هذا الطريق، أليس كذلك؟ البرتقالي الذي ترونه، لأن هذه مكة الآن، الذي يذهب إلى المدينة إلى جهة الشمال، النبي -صلى الله عليه وسلم- ذهب إلى جهة الجنوب، وهذا من التخطيط، أن تخالف أو أن تسير في طريقٍ خلاف ما يتوقع عدوك، هذا خطٌّ سير الهجرة، فلما بقي ثلاثة أيامٍ في هذه الفترة هم قطعًا أعني كفار قريش، سيرسلون في جهة الشمال أعينًا، وفرسانًا، وأناسًا، سيسيرون مسافاتٍ لن يجدوا شيئًا، أين ذهبوا؟ أين اختفوا؟ هم في غار ثورٍ، إذا جئت من جهة السيل، من جهة الطائف، هناك غار حراء عفوًا، لكن ستجد جبل ثورٍ هذا أيضًا في جنوب مكة، جنوبها يسيرًا، ثم لما بقي ثلاثة أيامٍ، وخفَّ الطلب في تلك الجهة خرج، لكن لم يخرج أيضًا مع الطريق المعتاد، بل سلك طريقًا آخر، غير الطريق الذي يسير فيه الناس عادةً.
- **يقول -رحمه الله-: "وكان عامر بن فهيرة يريح عليهما غنمًا لأبي بكر، وكانت أسماء بنت أبي بكر تحمل الزاد لهما إلى الغار".**
- يا نساء المسلمات، هذه أسماء كان لها دورٌ بارزٌ في خدمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر، خدمةً مبكرةً في أوائل الدعوة، فليكن لكن بصماتٌ في الدعوة، وليس بالضرورة أن تشتهرن، ليس بالضرورة أن تظهر أسماؤكن في مواقع الإنترنت أو التواصل، أو يُشاد بكنَّ، أو تظهرن كما يُقال بفلاشات الإعلام، يكفي أن الله -جلَّ وعلَا- يعلم جهدكن وجهادكن، أخرجوا لنا رجالًا يحملون همَّ هذا الدين، أعينوا أزواجكم الدعاة، وطلاب العلم، على المضي في مسيرتهم، فإن ذلك أمرٌ وشأنٌ عظيمٌ.
- **يقول: "وكان عبد الله بن أبي بكر"** هذا ابن أبي بكر **"يتسمَّع ما يُقال بمكة"،** إذن هذا أحد الأسباب، وهو من ينقل الأخبار التي تعين على التوقي، ثم يذهب إليهما بذلك فيحترزان منه، يعني بعد ما تأتيه الأخبار، ينقلان بحيث يتهيئون.

- يقول ابن كثيرٍ: "وجاء المشركون" ملوا المشركين من المنطقة الشمالية لجهة المدينة، فبدؤوا يبحثون في المناطق الأخرى، فجاء المشركون في طلبهما إلى ثورٍ، أي إلى الجبل، وما هناك من الأماكن" عملية تفتيشٍ وبحثٍ وتحريٍّ، حتى إنهم مروا على باب الغار، وحازت أقدامهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه، وعمَّى الله عليهم باب الغار، من الحافظ؟ الله، من الناصر؟ الله، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فعل كل هذه الأسباب وتوكل عليه.
- هنا أبو بكر -رضي الله عنه- خاف على النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقال: يا رسول الله، وصلوا إلى قرب الفتحة، والله يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا، هنا بكل ثقةٍ، يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، الله ثالثهما؟» ، سبحان الله، هذا اليقين، وهذه الثقة، فأعمى الله -جلَّ وعلَا- أبصارهم، فلم يروا شيئًا، وصرفهم الله -سبحانه وتعالى-.
- ابن كثيرٍ لاحظوا عبارته الآن، في قوله هنا: "ويقال"، أنا وضعتها باللون الأحمر، من أجل أن تعرفوا أن ابن كثيرٍ يشير بذلك إلى الضعف، وهذه من المواضع التي حررها، أو يتميز بها كتاب ابن كثيرٍ، وهي: التحقيق في عددٍ من المسائل، قال: "ويُقال، والله أعلم، إن العنكبوت بنَتْ، أو سدَّتْ على باب الغار، وأن حمامتيْن عشعشتا على بابه، وذلك تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: 40] إلى آخر الآية".
- لماذا قال: "ويقال"؟ يشير إلى ضعف الخبر، هذه واحدةٌ. الثاني: أنه هو -رحمه الله- في "البداية والنهاية"، لما ساق هذه القصة، قال: حديثها غريبٌ جدًّا، وهذه القصة مشهورةٌ جدًّا، ومع شهرتها لا تصح، ما هي؟ قصة أن العنكبوت نسجتْ خيوطها، وأن الحمامتيْن بنَتا العش، وباضتا حول الفتحة؛ لتوهما القادم بأن هذا المكان لم يُدخل من قريبٍ، لو دُخل، لهُتكتْ شبكة العنكبوت، ولانتهت أعشاش الحمام.
- نحن مؤمنون بأن الله -جلَّ وعلَا- على كل شيءٍ، لكن نحتاج إلى سندٍ فقط، لو صحَّ السند، لقلنا إن الله قادرٌ، كما قلنا قبل قليلٍ، أو قبل درسٍ ماضٍ إن الله -جلَّ وعلَا- نقل رسوله -عليه الصلاة والسلام- في ليلةٍ من مكة إلى القدس، ومن القدس صعدوا إلى السماء، الله قادرٌ على أن يجعل العنكبوت تنسج في ثوانٍ، والبيض يأتي بسرعةٍ، لكن لم يثبت في ذلك خبرٌ، ولذلك نحن في مثل هذا، لسنا بحاجةٍ أن نثبت هذه القصة أو ننفيها، لنثبت مثلًا نصرة الله لنبيه، فالله -جلَّ وعلَا- حافظ نبيه وناصره بأمور كثيرة جدًّا.
- ومما يدل حقيقة على ضعف هذه القصة: يعني أقول قد تكون قرينةً، بالإضافة إلى ما تقدم من السند، أن الله -جلَّ وعلَا- يقول: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 40]، لو كان البيض وُجد، والعنكبوت نُسج، لكانت هذه من الجنود التي رأوها، والله -جلَّ وعلَا-، وهذه آيةٌ عظيمةٌ جدًّا، تبشِّر كل من استقام على أمر الله، ونصر دين الله حقًّا، أنك إذا فعلتَ ما أُمرتَ به، واستقمتَ كما أُمرتَ، فإن الله -جلَّ وعلَا- يؤيدك بجنودٍ لا تخطر لك على بال، فالله تعالى لما ذكر آية الفتح، قال في موضعين: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 4]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 7]، وفي سورة المدثر: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].
- الله -جلَّ وعلَا- من جنوده ما هو ماديٌّ، يعني شيءٌ محسوسٌ، ومنه ما هو معنويٌّ، من الأمور المعنوية، ما ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهرٍ» ، لكن هذا لمن استقام على أمر الله، وأمر

رسوله -عليه الصلاة والسلام-، ومن الجنود الحسية، ما وقع في غزوة الأحزاب، ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 10] قبلها قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9]، هذه ريحٌ مُبصرةٌ، وجنودًا لم تروها الملائكة، فقلعت الخيام، وأكفأت القدور، وكما قال الله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25]، لكن متى يحصل هذا؟ إذا استقام المسلمون على أمرهم، أما وهم متناحرون، متنازعون، بعضهم يكيد لبعضٍ، بعضهم يحقد على بعضٍ، وهكذا، فإنه لا يأتي النصر لأناسٍ هذا حالهم، والله المستعان.

- ثم قال -رحمه الله-: "وذلك أن أبا بكر -رضي الله عنه- لشدة حرصه بكى حين مر المشركون، وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر موضع قدميه لرآنا، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، الله ثالثهما»، وهذا الموضع أحد المواضع التي يحتج بها الأئمة على أن أبا بكرٍ أفضل هذه الأمة بعد نبيها -عليه الصلاة والسلام-، وهو من أعظم ما يُردُّ به على أهل البدع، لا يوجد أحدٌ يستطيع أن يقول: إن الذي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- هنا غير أبي بكر، أبدًا، وهذه من المواضع الواضحة في الثناء على هذا الإمام الجليل -رضي الله عنه وأرضاه-.
- يقول: "ولما كان بعد الثلاث ليالٍ، أتى ابن أريقط" الذي هو عبد الله بن أريقط الديلي، " الراحلتين، فركباهما، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة" الذي هو مولاه، "وسار الديلي أمامهما على راحلته، وجعلت قريش لمن جاء بواحدٍ من محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، وأبي بكر -رضي الله عنه- مائةً من الإبل، فلما مروا بحي مُدلج"، جماعة من؟ سراقة بن مالك المدلجي، "وكان سيد مدلج".
- يقول: قريش، ما هي الجائزة التي أُعلنتْ؟ مائةٌ من الإبل، لمن يأتي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- حيًّا أو ميِّتًا، لاحظ، هنا الآن العدو لما عجز بنفسه صار يُغري غيره، ويُعطي الجوائز الكبيرة من أجل القضاء على رأس الدعوة في ذلك الوقت، رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو على صاحبه أيضًا أبي بكر.
- يقول: "فركب جواده وسار في طلبهم، وكان فارسًا، فلما قرب منهم سمع قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأبو بكر -رضي الله عنه- يُكثِر الالتفات؛ حذرًا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو -صلى الله عليه وسلم- لا يلتفت". لاحظوا هنا أنا وضعتُ خطأً عمدًا على كلمة: "وهو -صلى الله عليه وسلم- لا يلتفت"، فقال أبو بكر: "يا رسول الله، هذا سراقة"، إلى آخره.
- جاء في صفته -صلوات الله وسلامه عليه- أنه إذا مشى لا يلتفت، طيب ماذا يصنع إذا ناداه أحدٌ؟ يقف، حتى يأتي ذلك المنادي، وهذا مهمٌّ جدًّا في لحظات الفرار من العدو والخصم، فالله تعالى لما أرسل الملائكة إلى لوطٍ -عليه الصلاة والسلام-، قالوا له: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: 65]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: 81]، إذن وأنت تسير في طريق الدعوة، إياك من الالتفات الحسي، والالتفات المعنوي، بل امض في طريقك، أما الالتفات الحسي، لأنه يؤخر، وكل التفاتةٍ على حساب الوقت، الالتفات المعنوي، الإنسان في طريق الدعوة قد يسمع من يشتمه، من يسخر به، من من، من، فإن أكثرتَ من الإصغاء إليهم، وهو التفاتٌ معنويٌّ، ستتعب، ويتعب قلبك، إذن ماذا تصنع؟ امض واتركهم، فإن كان مما ذُكر شيءٌ فعلًا خطأٌ وقعت فيه، فصحح، وإن كان مجرد بغيٍ

وعدوانٍ، فاتركه وامض ولا تلتفت أيضًا، فنحن نستفيد من هذا الدرس العظيم: أن لا يُكثر الداعي من الالتفات؛ لأنك إذا التفت تأخرت، وطريق الدعوة طويلٌ، ويحتاج إلى نفس وجهد.

- فقال أبو بكر: "يا رسول الله، هذا سراقة بن مالك قد رهقنا". يعني أدركنا، فدعا عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فساخت يدا فرسه في الأرض، وهذه من آيات الله التي أعطاها الرسول -عليه الصلاة والسلام-.
- لاحظ سراقة نفسه قال: "رُميتُ، أو قد علمتُ أن الذي أصابني بدعائكما، فادعو الله لي، ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما". وهذه الرواية عند البيهقي وغيره، وإلا أن قصة سراقة ثابتةٌ في الصحيح، أصل القصة، لكن التفاصيل هذه خارج الصحيح، عند البيهقي وغيره في "دلائل النبوة"، يقول: "فدعا له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأُطلق"، كانت الفرس ساختْ، مع أن الأرض أقرب إلى الجبلية، في أول الأمر جبليةٌ، لكن إذا جاء أمر الله لا يقف أمامه لا سهلٌ ولا جبلٌ، ولا برٌّ ولا بحرٌ، فساخت قدما الفرس، فتعطل، فعرف أنه أصيب بدعوةٍ، كما ذكر ابن كثير، ولكن انظر إلى شهامة هذا الرجل، وهذه كما أشرت إليها، العرب عندهم خطوطٌ حمراء، مادام أعطى عهدًا لا يغدر به، ولذلك من أعظم العيوب عند العرب: أن يغدر الإنسان بالعهد، وقد جعله النبي -صلى الله عليه وسلم- من صفات المنافقين: «وإذا عاهد غدر» ، فوفَّى سراقة، لكنه في تلك اللحظة كما ذكر البيهقي وغيره، كأنه أنِس من هذا المشهد، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- منتصرٌ، لا محالة، مادام أن هذه العقوبة جاءته في أرضٍ جبليةٍ، وتسيخ الأرض، فمعنى هذا أن أعداءه سيتعرقلون، وأنه سيمضي هو وينتشر دينه، فكأنه لمح شيئًا من قيام دولةٍ مسلمةٍ، وسيأتيها رزقها، فقال: أعطني كتابًا، فأعطاه النبي -عليه الصلاة والسلام- كتابًا في جلدٍ، هذا معنى قوله: "فكتب له أبو بكر في كتابًا من أدمٍ، ورجع يقول للناس"، لاحظوا كيف أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الكافر أيضًا، "ورجع يقول للناس: قد كُفيتم هاهنا"، هذه الجهة ما فيها أحدٌ، فكُفي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال: قال الله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137]، يسمع ما يقولون، ويعلم ما يدبرون، وهنا عبرةٌ أنا أضفتها عندكم باللون الأخضر، قد ينصر الله -جلَّ وعلَا- الذين برجلٍ كافرٍ أو فاجرٍ، فلا تستكثر من الأعداء ما استطعت كما ذكرنا في أكثر من مناسبةٍ، بل حيِّدهم حتى تستفيد منهم.
- ثم لم تنته قصة سراقة، بل جاء مسلمًا لكن عام حجة الوداع، وهو الذي قال، لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا» ، فقال سراقة، والحديث في صحيح مسلم: يا رسول الله، أفي كل عامٍ؟ قال له: «لو قلتُ، لوجبتْ»، والمعنى أنها في العمر مرةً واحدةً.
- يقول: "جاء مسلمًا في حجة الوداع، ودفع إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الكتاب الذي كتبه له، فوفَّى له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما وعده، وهو أهلٌ لذلك". يعني النبي -صلى الله عليه وسلم- أهل للوفاء.
- مرت سنين، طبعًا في قصة سراقة هنا مشهدٌ، وهو أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له: «كيف بك يا سراقة، إذا لبست سواري كسرى؟» لاحظوا، رجلٌ يسير في الصحراء الحارقة، همه، أن ينجو بنفسه، ومن معه، رجلٌ أمضه وأنهكه المسير، وفي نفسه أن يبلغ مقصده، ومع ذلك، لاحظ، مطارد، ويلقي هذه البشائر بكل ثقةٍ وطمأنينةٍ، تدور الأيام، وتُفتح المدائن، وتُفتح فارس، فيؤتى بالسوارين، عمر -رضي الله عنه-، وقد كان بلغه هذه الكلمة، فقال: أين سراقة بن مالك، فألبسه إياهما، هما ذهب، أو أعطاه إياهما، ليوقن بموعود رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- من هو الذي يتحدث بهذه الثقة، في وسط هذه المعمعة من الشدائد والكُرب؟ إلا الذي امتلأ قلبه تفاؤلًا، وأنا أقول للإخوة والأخوات: لا نقنط ولا نيأس مهما اشتدتْ الكربات على أهل الإسلام، هذا دين الله، الخاتم، الذي أذن بنصره، وأذن بانتشاره، كما في حديث تميم الداري: **«ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبرٍ»** ، يعني لا في البر، ولا في البحر **«إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيزٍ، أو بذل ذليلٍ، عزًّا يعز الله به الإسلام وأهله، وذُلًا يُذل الله به الكفر وأهله»**.
- الشأن ما هو يا إخوة، ويا أخوات؟ هل نحن حجزنا لأنفسنا مقاعد في هذا المركب الذي ينصر الله به دينه والقطار الذي يسير لنصرة الدين؟ أم لا؟ ما هي الخسارة ؟ الخسارة أن تكون في مؤخرة الركب، أو أن تكون على هامش الحياة، تعيش ثلاثين أربعين سنةً، ليس لك أي بصمةٌ مؤثرةٌ في واقعك، ولا في خدمة الدين، ولا في نصرته، هذه هي المصيبة.
- هنا أيضًا نقطةٌ أخرى تتعلق بقضية سراقة: في مسير النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، تذكرون مر معنا أنه سار إلى المدينة لزيارة أخواله، لما كان برفقة أمه؛ لأن أباه مات وهو حملٌ على الصحيح، والأشهر عند المؤرخين، وأمه ماتت، وعمره ست أو ثمان سوات، كان صغيرًا، بعد ما بلغ كان عمره ست سنواتٍ، بعد قرابة ثمان وأربعين، أو سبع وأربعين سنةً من ذلك المسير الأول، هاهو يخرج اليوم لكنه يخرج مطاردًا، -صلوات ربي وسلامه عليه-، يعني خرج من مكة، وهي التي طردته، وآذته، وهو متجهٌ، وقلبه وعيناه ترنوان إلى المدينة، التي طربت، واهتزت لقدومه فرحًا -صلوات ربي وسلامه عليه-، وحُقَّ لها ولأهلها.
- ثم قال -رحمه الله-: "ومر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مسيره ذلك بخيمتي أم معبدٍ، فقال عندها"، ما معنى "قال"؟ يعني: استراح وقت القيلولة.
- وهذه القصة مشهورةٌ جدًّا، يقول ابن كثير -رحمه الله- في "البداية": "إن لها طُرُقًا يشد بعضها بعضًا" لأن بعض العلماء يُضعِّفها، وبعضهم يُثبتها، لكنها مشهورةٌ جدًّا عند المؤرخين، وفيها: أن الله -جلَّ وعلَا- أجرى على يديه في هذه القصة آياتٍ من آيات الله، وجد الغنم والمعزة هزالًا، فلما أُتي به، قال: **«هل عندكِ شيءٌ؟»**، قالت: لم نُسْقَ العام، العام مُجدبٌ، فجفَّ الضَّرع، وقلَّ الزرع إلى آخره، فنادى بإحدى الشياة، فسمى بالله، ومسح ضرعها، فدرت حليبًا، هذه القصة، وهذا مضمونها، فشرب، وسقى، وسقى من معه، وسقى الأم، وكان أبو معبدٍ قد غاب، فلما جاء، سألها: هل حدث شيءٌ عندكِ أم لا؟
- فأخبرته بهذه القصة، قال: والله هذا الرجل، هذا محمدٌ الذي تطلبه قريش، لكن بعد ما مشى وسار، وفي ذلك أبياتٌ وأشعارٌ مشهورةٌ في هذه القصة.
- على كل حالٍ، يقول: "ورأت من آيات نبوته في الشاة وحلبها لبنًا كثيرًا في سنةٍ مُجدبةٍ، ما بهر العقول -صلى الله عليه وسلم-".
- ثم قال -رحمه الله-: "فصلٌ في دخوله -عليه الصلاة والسلام- المدينة".
- هنا الأنصار -رضي الله عنهم- بلغهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من مكة، وأنه جاء متجهًا قاصدًا إليهم، وكانوا يعني تعرفون لما بلغت الأخبار أن الرسول خرج وكذا، هما بقي في غار ثورٍ ثلاثة أيامٍ، هذه من المدة، والسير من مكة إلى المدينة عادةً يأخذ قرابة عشرة أيامٍ، لاحظ، لو ورد عليك في السيرة مسيرة يومٍ

وليلةٍ، هي من أربعين إلى خمسةٍ وأربعين كيلو، في المقاسات المعاصرة، ومكة والمدينة الآن بينهما قرابة أربعمائة كيلو، فاحسب لكل يومٍ أربعين كيلو، في السير العادي، وأضف معها ثلاثة أيامٍ في غار ثورٍ، ثلاثة عشر يومًا.

- "فلما تحيَّنوا كانوا يخرجون"، ما جاء اليوم الأول، الثاني، الثالث، إلى آخره.
- يقول: "فكانوا يخرجون إلى الحرَّة ينتظرونه"، وهنا اشتهر أن الأنصار لما قَدِمَ عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- كانوا يقولون القصة المشهورة: طلع البدر علينا، من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا ما دعا لله داع إلى آخره، وقد أنكر ابن القيم -رحمه الله- وجماعةٌ من المحققين أن تكون هذه القصة في مقدمهم من مكة إلى المدينة، وإنما كانت في مقدمه من تبوك إلى المدينة، بعد الغزوة، بعد غزوة تبوك، وهذا هو الصحيح، أن هذه القصة كانت بعد قدومه من غزوة تبوك سنة تسعٍ.
- ثم قال -رحمه الله-: "فلما كان اليوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر سنةً، من نبوته، وافاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين اشتد الضحى، وكان قد خرج الأنصار يومئذٍ، فلما طال عليهم، رجعوا إلى بيوتهم"، يعني في ذلك اليوم، الموافق للاثنين من هجرته -عليه الصلاة والسلام-، بقوا إلى أن ارتفع الضحى، ولاحظوا أيها الإخوة، مسيره -عليه الصلاة والسلام- من مكة إلى المدينة، كان في وقت صيفٍ، ولك أن تتصور أن تسير بين هذه المهامه والجبال، والأودية، طريقٌ صعبٌ صعبٌ، ليس بالسهل، لو قُدِّر لك أن تسير عليه بسيارةٍ خارج الخط الرئيسي، لعرفت المشقة، أحدنا يتعب أن يمشي في سيارته خمس ساعاتٍ، أو أربع ساعاتٍ ونصف، وإذا وصل، وإذا هو مجهدٌ، يقول: أحتاج أرتاح، ووصل في أربع ساعاتٍ ونصف، أو خمس، فكيف بالنبي -عليه الصلاة والسلام- الذي كان يقاسي حر الشمس، ولهب الصحراء، ويعيش لحظات، يعني كان ليس مجرد مسافرٍ عاديّ، كان مسافرًا -عليه الصلاة والسلام- وهو يعرف أنه قد أُهدر دمه، وأن القبائل تتطلع إلى قتله -عليه الصلاة والسلام-، مشاعر ليست بالسهلة.
- يقول ابن كثير: "فلما قدم"، يعني ارتفع الضحى، يقول ابن كثير : "رجعوا إلى بيوتهم، فلم يفجئهم، وإلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد دخل المدينة".
- يقول ابن كثير: "فكان أول من بَصُرَ به رجل من اليهود، وكان على سطح أُطُمِهِ"، الأُطُم، هي الأسوار المحيطة بالقصور، فنادى بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا جدكم الذي تنتظرون، تذكرون قلنا قبل قليلٍ أن الأوس والخزرج أمهم ما اسمها؟ قيلة، هي هذه، والعرب عادةً يقولون: يا بني فلان، يا بني ماء السماء، يا بني كذا، هنا قال: يا بني قيلة، ليجمع بين الأوس والخزرج.
- فقال: "يا بني قيلة، هذا جدُّكم" يعني حظكم، وعزكم، لاحظ حتى اليهودي عرف أن مَقدَم النبي -صلى الله عليه وسلم- مَقدَم خيرٍ، لكنهم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14]، فخرج الأنصار في سلاحهم، فتلقوه، لماذا خرجوا في السلاح؟ لأنهم عاهدوه على النصرة، وخافوا عليه من يهودٍ، قد يأتي يهوديٌّ أو كذا، ثم يؤذيه.
- "ونزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقباء، على كلثومٍ بن الهدم، وقيل: بل على سعد بن خيثمة، وجاء المسلمون يسلِّمون على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأكثرهم لم يره بعدُ". يا الله، ما أجمله من منظرٍ،

أن تسمع برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، تسمع من صفاته، ومن الأذى الذي لحقه، والجهد، والعناء الذي بذله في سبيل الدعوة، ثم تكتحل عيناك برؤيته -عليه الصلاة والسلام-، لحظة لا تُقاس بالدنيا، بل لا يمكن أن توصف أبدًا، ولك أن تتخيل مشهد الأنصار -رضوان الله عليهم وأرضاهم-، وهم يتلقون حبيبهم، الذي امتلأت قلوبهم بحبه -صلوات ربي وسلامه عليه-، فيسلمون عليه، إنه مشهدٌ تضيق عنه العبارة، وتعجز عنه الكلمات، فنسأل الله -جلَّ وعلَا- الذي هدانا لدينه، أن يجمعنا به في جنات النعيم، وأن يرزقنا السير على طريقته أحياءً ويميتنا على ذلك، إنه سميعٌ مجيبٌ.

- قال: **"وأكثرهم لم يره بعد، وكان بعضهم، أو أكثرهم يظنه أبا بكر؛ لكثرة شيبه".** بينما النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن ذا شيبٍ، بل مات، كما يقول أنس -رضي الله عنه-: وليس في لحيته سوى إحدى وعشرين شعرةً، غالبها في العنفقة، هذه التي تحت الشفة السفلى، انظر فيه رجلٌ في التاريخ، تُعد شعراته البيض؟ إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ما تركوا شيئًا من جسده الشريف، مما يُرى إلى وقد وصفوه، حتى وصفوا الشعر الذي في صدره، وكان على مسربةٍ، يعني كأنه شعر كثيفٌ في الوسط، بينما بقيت بطنه وصدره الشريف -عليه الصلاة والسلام- ليس فيه شيءٌ، وصفوا كل شيءٍ، وصفوا يديه، وكتفيه، ووصفوا وجهه الشريف -عليه الصلاة والسلام-، وكثافة لحيته.
- يقول: **"فكان بعضهم أو أكثرهم يظنه أبا بكر؛ لكثرة شيبه، نظرًا لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أسنُّ من أبي بكر قليلًا".**
- يقول: **"فلما اشتد الحر قام أبو بكر بثوبٍ -رضوان الله عليهم- يظلل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. يقول: فتحقق الناس حينئذٍ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".** يعني عرفوا أن هذا هو النبي -صلى الله عليه وسلم-.
- بعد هذا تبدأ قصة مسجد قباء، وتأسيس المسجد، ثم بعد ذلك قصة بناء المسجد النبوي الشريف، وبداية الدعوة، ثم الصراع أو الكلام مع اليهود وغيرهم، ثم قصة بدء الجهاد في سبيل الله -تبارك وتعالى-، وهذا كله -بإذن الله- هو مفتتح حلقتنا -إن شاء الله تعالى- القادمة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

